الى وزارة المعارف

معـــــارف مصر

فى حولية المعارف الأممية

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصرى بك

حمل البريد إلىّ قبل يومين الحولية التى نشرها مكتب التربية الأممى ، عن « التربية والتعليم فى جميع أنحاء العـالم خلال سنة ١٩٣٩ »

فلما أخذت أقلب صحائفها لألم بها إلماماً إجمالياً ـ استعداداً لدرسها درساً تفصيلياً فيما بعد ـ كان بعض الفصول يستوقف نظرى قبل غيره أو أكثر من غيره ؛ وكان الفصل الخاص بمصر (ص ١٨٠ إلى ٢٠١) من جملة تلك الفصول بطبيعة الحال

وما كدت ألقى نظرة سريعة على الصفحتين الأوليين من هذا الفصل ، وأستعرض الأرقام الإحصائية المدرجة فيهما ، حتى وقفت على ما يثير الضحك والألم فى وقت واحد ...

يفهم من هذه الإحصائية أن مدارس الأطفال فى مصر تربى ٢٤٤٨ طفلاً ، والمدارس الابتدائية الأميرية تعلّم ٢٩٧٧٥ تلميذاً ، والمدارس الابتدائية الخصوصية تجلس على كراسيها ٥٣٤٨٩ من التلاميذ ؛ وهذا هو كل ما فى مصر من مدارس خاصة بتعليم الأطفال ـ قبـل بلوغهم سن الدراسة الثانوية ـ حسب ما يظهر من هذه الإحصائية ...

لو لم أكن أعرف حالة المدارس المصرية معرفة سابقة ، وكان عرفانى بها مستنداً إلى هذه الإحصائية وحدها، لقلت حالاً: ما أتعس مصر وما أشقى أطفالها ...

لأن هذه الأرقام تدل على تأخر فظيع ، لا بالنسبة إلى الأمم الأوربية والأمريكية فحسب ، بل بالنسبة إلى الأمم الشرقية نفسها . وليس هذا التأخر بالكمية النسبية فحسب ، بل بالكمية المطلقة أيضاً ... فإن العراق ، يسبق مصر فى هـذا المضمار بمراحل عديدة . وأما إيران فتسبقها بعشرات المراحل نظراً إلى هذه الأرقام ...

فإن عدد طلاب المدارس الابتدائية الأميرية فى العراق يناهز ثلاثة أمثال طلاب تلك المدارس فى مصر ، مع أن عدد نفوس العراق لا يبلغ ثلث نفوس مصر ... وأما عدد طلاب المدارس الابتدائية فى إيران فلا يقل عن ثمانية أمثال طلاب مصر ، مع أن عدد نفوسها أقل من نفوس مصر على كل حال ...

ولا مجال للشك فى أن كل من يراجع الحولية الأممية المذكورة من الأوربيين والأمريكيين سيلاحظ هذه الملاحظة ، وسيقول : ما أفظع هذا التأخر المؤلم فى بلاد غنية مثل مصر ، فى شعب عريق فى الحضارة مثل المصريين !

* * *

قد يقول بعض من يقرأون هذه الأسطر : لا بد من أن يكون هناك خطأ فى الأرقام ... ولا يستبعد أن يكون هـذا الخطأ متأتياً من نقص المعلومات التى جمعها مكتب التربية الأممى عن المدارس المصرية ...

غير أن هناك ما ينفى هذا الاحتمال نفياً باتاً : لأن الفصل الذى يرافق إحصائية المعارف فى مصر لسنة ١٩٣٩ تقرير رسمى رفعه مندوب الحكومة المصرية الدكتور محمود فهمى — كما هو مصرح به فى أسفل الصفحة ١٨١ من الحولية — فلا يحق لأحد إذن أن يشك فى صحة الأرقام المدرجة هناك ...

ومع كل هذا ، فأنا أعرف أن النتيجة التى يصل إليها الباحث — من هذه الأرقام — لا توافق الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه ... أنا أعرف أن هذا المظهر الغريب الذى تظهر به معارف مصر — فى مثل هذه الإحصائيات — يعود إلى سبب مهم ، كنت قد وجهت إليه الأنظار — على صفحات الرسالة — قبل نحو ثلاث سنوات ...

إن نظم التعليم المرعية فى مصر لا تفهم من تعبير « المدرسة الابتدائية » ما يفهمه رجال التربية والتعليم وغيرهم فى جميع أنحاء العالم. فإن المدرسة الابتدائية فى مصر، مدرسة من نوع خاص، وهى غريبة شاذة من وجوه عديدة ...

لقد انتقدت أوضاع هـذه المدارس بشدة فى المقالة التى